بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا
زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

[الذاريات :٤٩]

beikarel.com

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[الذاريات: ٤٩]

هذه الآية الكريمة جاءت فى الخمس الأخير من سورة الذاريات، وهى سورة مكية، وعدد آياتها ستون بعد البسملة، ويدور محورها الرئيسى حول قضية العقيدة الإسلامية، ومن ركائزها التى جاءت بها هذه السورة المباركة ما يلى:

(١) الإيمان بالله ـ تعالى ـ رب السماء والأرض، إلهًا واحدًا أحدًا، فردًا صمدًا، بغير شريك ولا شبيه ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد، وتنزيهه ـ سبحانه وتعالى ـ تنزيهًا كاملاً عن كل وصف لا يليق بجلاله.

(٢) اليقين بالبعث بعد الموت، وبالجزاء فى الآخرة، على الرغم من اختلاف الناس بشأنهما؛ لأنه لا يُصْرَفُ عن الإيمان بحتميتهما إلا صاحب هوى أو جنون، أو استكبار فى الأرض.

(٣) القبول بحقيقة النار وعذابها، وبأنها مآل الكافرين والمشركين، والضالين المكذبين بالله وملائكته، وكتبه ورسله، المنكرين ليوم الدين، والقائلين فيه بالظن والتخمين، أو اللاهين عنه والمتشككين فى وقوعه، حتى يسألوا عنه سؤال المستهزئ به، والمستبعد لإمكانية تحقيقه . . . !! وهؤلاء تؤكد السورة الكريمة حتمية هلاكهم وورودهم إلى النار التى كانوا بها يستعجلون.

(٤) التصديق بالجنة ونعيمها، وبأنها مآل المتقين، الذين يحسنون العمل فى الدنيا، ومن مظاهر العمل الصالح فيها: قلة النوم بالليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وإخراج المال للسائل والمحروم.

(٥) الإيمان بملائكة الله المقسمات الأمور المقدرة بين الخلق على ما أمرت به من الله ـ سبحانه وتعالى.

(٦) الإيمان برسل الله وأنبيائه أجمعين، الذين أرسلوا لتعليم الناس حقيقة رسالتهم في الحياة، وكيف يطبقونها على الوجه الذي يرتضيه الله، وما لهم من بعد الموت، ويندرونهم من أخطار الشرك بالله ومن عذاب يوم عظيم، وقد طولبوا بمداومة التذكير والوعظ بذلك.

(٧) التصديق بكل ما جاء بالقرآن الكريم خاصة ما ورد عن عقاب العاصين من أبناء الأمم السابقة الذين أنكروا رسالات ربهم، واستهزءوا برسله، متهمين إياهم بالسحر أو الجنون.

(٨) اليقين بأن الله ـ تعالى ـ لم يخلق كلاً من الجن والإنس إلا لعبادته بما أمر، ولحسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض، وإقامة عدل الله فيها.

(٩) الإيمان بأن الله ـ تعالى ـ هو الرزاق ذو القوة المتين.

(١٠) اليقين بأن لكل ظالم نصيبه من عذاب الله، وأن هذا العذاب واقع به لا محالة في الدنيا قبل الآخرة، كما نزل بالظالمين والكفار والمشركين من أبناء الأمم السابقة.

استعراض سريع لسورة الذاريات

تدعو سورة الذاريات إلى التأمل في ايات الله المبثوثة في الارض، وفي الأنفس، وفي الآفاق، وإلى التعرف على ما في هذه الآيات الكونية من دلائل على الإيمان بالله، واليقين بوحدانيته، كما تدعو إلى استخلاص الدروس والعبر من قصص عدد من أنبياء الله ورسله السابقين على بعثة خاتمهم ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ منهم أبو الأنبياء ابراهيم، وكليم الله موسى، وأول أولي العزم من الرسل نوح ـ على نبينا وعليهم من الله السلام ـ كذلك عرضت السورة الكريمة لعدد من الأمم البائدة، وإلى ما أصاب تلك الأمم من عذاب

الله فى الدنيا قبل الآخرة، وما لحق بها من هلاك ودمار وخراب؛ بسبب انحرافها عن فطرة الله ومنهجه، وتكذيبها لأنبيائه ورسله، ومن هذه الأمم التى أبيدت أقوام لوط، وفرعون، وعاد، وثمود، ومن قبل هؤلاء جميعًا قوم نوح.

ثم عاودت سورة الذاريات استعراض عدد آخر من الآيات الكونية الدالة على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة فى الكون، وعقبت بالدعوة إلى رجوع الخلق إلى الله، وحذرت من الشرك به - سبحانه وتعالى - فى مواضع عديدة منها، وكررت وصف الرسول الخاتم ﷺ بأنه نذير مبين من الله إلى الناس كافة، وأن عبادة الله - تعالى - وحده هى الغاية من خلق كل من الجن والإنس، وأنذرت هذه السورة المباركة كل من يجرؤ على التكذيب ببعثة رسول الله ﷺ بمثل ما أصاب الأمم السابقة من عذاب.

والسورة فى مجملها دعوة إلى الناس جميعًا كى يخلصوا العبادة لله وحده، ويطهروا القلوب من درن الشرك، ومن كل وصف لا يليق بجلال الله . . ومن كل معوقات الحياة . . وأن يصلوها بخالقها الذى هو رب هذا الكون ومليكه، ولذلك أوردت فى خواتيمها هذه الدعوة المباركة: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠، ٥١].

ثم خلصت سورة الذاريات إلى استنكار موقف الكافرين والمشركين من تكذيب رسل الله، وأمرت خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بأن يشيح بوجهه الشريف عنهم، وألا ينشغل بهم عن تذكير الناس . . فإن الذكرى تنفع المؤمنين. وأكدت أن كلاً من الجن والإنس ما خلق إلا لعبادة الله - تعالى - وحده (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد) فالله - سبحانه وتعالى - لا يريد من أحد منهم رزقا ولا إطعامًا؛ لأنه هو - سبحانه - الرزاق ذو القوة المتين.

وختمت هذه السورة المباركة بالتأكيد على أن للذين ظلموا فى هذه الدنيا نصيبًا وحظًا من العقاب نازلاً بهم لا محالة، مثل نصيب من سبقوهم من الكفار والمشركين، وتهددهم بعذاب أشد وأنكى فى الآخرة، يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الآيات الكونية فى سورة الذاريات

فى مقام الاستدلال على طلاقة القدرة الإلهية فى إبداع الخلق، والشهادة على أن الذى أبدع هذا الخلق قادر على إفنائه وعلى إعادة خلقه من جديد أى بعثه، استعرضت سورة الذاريات عدداً من الآيات الكونية لمحاجة الكفار المكذبين بيوم الدين منها ما يلى:

(١) قسم بالرياح التى سخرها ربنا - تبارك وتعالى - لتذرية التراب ذروًا، ودور ذلك فى برى الصخور، وتسوية سطح الأرض، وتكوين التربة، وتلقيح كل من السحاب والنبات بما تحمل الرياح من هباءات الغبار ومن حبوب اللقاح، ودور ذلك فى إنزال المطر وإخصاب كل من الأرض والنبات.

(٢) قسم بالسّحب التى يُحَمِّلهُا ربنا - تبارك وتعالى - ثقلاً عظيمًا من بخار الماء لينزله بتقديره وعلمه حيث يشاء، وبالقدر الذى يشاء، وفى الوقت الذى يشاء، رحمة منه بخلقه أو عقابًا وعذابًا للعاصين من عباده.

(٣) قسم بالسفن الجاريات فى يسر على سطح الماء، ولولا أن الله - تعالى - قد وهب الماء قدرًا من الصفات الفطرية المميزة له، لما جرت السفن على سطحه أبدًا بهذا اليسر، وتلك السهولة.

(٤) قسم بالملائكة التى تقسم الأمور المقدرة فى الكون حسب أوامر الله - سبحانه وتعالى - وحسب مشيئته، فتحمل الأوامر الإلهية، وتوزعها وفق تلك المشيئة بين الخلق، وبين مختلف قوى الكون بدقة وانضباط بالغين، ولو أن الملائكة من الأمور الغيبية بالنسبة لنا، إلا أن أثرها فى الكون لا يمكن إغفاله.

(٥) قسم بالسماء ذات الحبك أى ذات الإحكام فى الخلق، والترابط والتماسك المحكم الشديد، والكثافات المتباينة بين مختلف أجزائها وأجرامها.

(٦) الإشارة إلى أن ما فى الأرض من آيات يَدُلُّ على طلاقة قدرة الله انطلاقًا من قوله - تعالى - ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

(٧) التأكيد على آيات الأنفس بقول الحق ـ تبارك وتعالى : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١].

(٨) إثبات أن ما يوعد الناس، وما يرزقون به يقرر فى السماء وينزل منها انطلاقًا من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢].

(٩) الإشارة إلى حقيقة توسع الكون التى لم يصل إليها علم الإنسان إلا فى الثلث الأول من القرن العشرين، وذلك بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧].

(١٠) الإشارة إلى عمليات تمهيد وتسوية سطح الأرض، وذلك بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٨].

(١١) التأكيد على الزوجية المطلقة فى الخلق انطلاقًا من قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩].

وكل آية من هذه الآيات تحتاج إلى معالجة خاصة، لفهمها وفهم دلالاتها العلمية فهمًا صحيحًا، ولما كان المقام لايتسع لذلك، أجدنى مضطرًا إلى قصر الحديث هنا على النقطة الأخيرة من قائمة الآيات الكونية السابقة ألا وهى التأكيد على الزوجية المطلقة فى الخلق، وقبل البدء فى ذلك لا بد من استعراض سريع لأقوال عدد من المفسرين فى شرح دلالة هذه الآية الكريمة . .

من أقوال المفسرين

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩]

* ذكر ابن كثير ـ يرحمه الله ـ ما مختصره : « . . . ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ أى جميع المخلوقات أزواج : سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء (نور) وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة،

وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات ولهذا قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أى لتعلموا أن الخالق واحد لاشريك له . . ».

* وجاء فى تفسير الجلالين - رحمهما الله - ما مختصره: «﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يتعلق بقوله خلقنا ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل (تتذكرون) فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه».

* وذكر صاحب الظلال - رحمه الله رحمة واسعة - ما نصه: «وهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق فى هذه الأرض - وربما فى هذا الكون، إذ أن التعبير لا يخصص الأرض - بقاعدة الزوجية فى الخلق. وهى ظاهرة فى الأحياء، «ولكن كلمة (شىء) تشمل غير الأحياء أيضًا، والتعبير يقرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية».

«وحين نتذكر أن هذا النص عرفه البشر منذ أربعة عشر قرنًا، وأن فكرة عموم الزوجية - حتى فى الأحياء - لم تكن معروفة حينذاك، فضلا عن عموم الزوجية فى كل شىء. . حيث نتذكر هذا نجد أننا أمام أمر عجيب عظيم . . وهو يطلعنا على الحقائق الكونية فى هذه الصورة العجيبة المبكرة كل التبكير!».

«كما أن هذا النص يجعلنا نرجح أن البحوث العلمية الحديثة سائرة فى طريق الوصول إلى الحقيقة، وهى تكاد تقرر أن بناء الكون كله يرجع إلى الذرة، وأن الذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء: موجب وسالب! فقد تكون تلك البحوث إذن على طريق الحقيقة فى ضوء هذا النص العجيب».

«وفى ظل هذه اللمسات القصيرة العبارة، الهائلة المدى، فى أجواء السماء، وفى آماد الأرض، وفى أعماق الخلائق، يهتف بالبشر ليفروا إلى خالق السماء والأرض والخلائق، متجردين من كل ما يثقل أرواحهم ويقيدها . . موحدين الله الذى خلق هذا الكون وحده بلا شريك».

* وجاء فى صفوة البيان لمعانى القرآن - رحم الله كاتبه - ما نصه: «﴿زَوْجَيْنِ﴾ نوعين متقابلين كالليل والنهار، والسماء والأرض، والهدى والضلال، إلى غير ذلك.

* وذكر أصحاب المنتخب فى تفسير القرآن الكريم - جزى الله كاتبيه خيراً - ما نصه: « ومن كل شىء خلقنا صنفين، مزدوجين، لعلكم تتذكرون فتؤمنوا بقدرتنا».

* وجاء فى صفوة التفاسير - جزى الله كاتبها خيراً - ما نصه: «﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أى ومن كل شىء خلقنا صنفين ونوعين مختلفين ذكراً وأنثى، وحلواً وحامضاً ونحو ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أى كى تتذكروا عظمة الله فتؤمنوا به، وتعلموا أن خالق الأزواج واحد أحد».

من الدلالات العلمية للآية الكريمة

فى قوله - تعالى - :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

تأكيد على قاعدة الزوجية المطلقة فى خلق كل شىء من الأحياء والجمادات، بمعنى أن الله - تعالى - خلق كل شىء فى زوجية حقيقية، وأن هذه الزوجية ظاهرة عامة فى كل المخلوقات، وعلى جميع المستويات: من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان وإلى مختلف وحدات الكون، وأنها سمة من سمات التناسق والتناغم والتوافق فى الخلق، وشهادة ناطقة بالوحدانية المطلقة للخالق - سبحانه وتعالى - تلك الوحدانية المطلقة التى تؤكد أن الخالق - سبحانه وتعالى - فوق جميع خلقه، وهو الذى وصف ذاته العلية بقوله الحق: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

كما وصف هذه الذات العلية بأمره الواضح الصريح إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، ومن ثم إلى كل مؤمن بالله أن يردد فى كل وقت وفى كل حين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

[الإخلاص: ١ - ٤].

وهذه الزوجية فى الخلق، الناطقة بوحدانية الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ تتجلى لنا فى المراحل التالية:

١ ـ الزوجيـة من ذكـر وأنثى فى الكائنات الحيّـة من الإنسـان إلى كل من الحيـوان والنبات، وفى الخلايا الجسدية لكل جنس.

٢ ـ الزوجية فى الخلايا التناسلية بنوعيها: الذكرية والأنثوية.

٣ ـ الزوجيـة فى النطفة الذكـرية التى قـد تحـمل صبـغى التذكيـر(Y) أو صبـغى التأنيث(X).

٤ ـ الزوجية فى أعداد الصبغيات الموجودة فى نواة الخلية الحيّة.

٥ ـ الزوجية فى حاملات الوراثة ـ المورثات أو الناسلات أو الچينات ـ الموجودة على كل صبغى من الصبغيات.

٦ ـ الزوجيـة فى بناء جـزىء الحـمض النووى٦, ١٨ بليون قـاعـدة كيـميـائيـة فى جدارين متقابلين تفصلهما سلميات متتابعة تتكون كل سلمية منها من زوج من القواعد النيتروچينية.

٧ ـ الزوجية فى ترابط كل قاعدتين من القواعد النيتروچينية الأربعة البانية لسلميات الحمض النووى (DNA). وتعرف بالرموز (A, T; C, G).

٨ ـ الزوجيـة فى ترابط جزىء سكر الريبوز ـ وهـو جزىء عـضوى ـ مع جـزىء الفـوسـفـات ـ وهو جـزىء غـيـر عـضـوى ـ لتكوين جـدار جـزئ الحـمض النووى(DNA).

٩ ـ الزوجية فى بناء كل من الأحماض الأمينية و البروتينات المتجمعة منها فى صورها اليمينية واليسارية.

١٠ ـ الزوجية فى بناء البروتينات وأضدادها (Proteins and Antiproteins).

١١ ـ الزوجية فى بناء الجزىء الكيميائى للمادة بشقيه: الموجب والسالب (Cation and Anion).

١٢ ـ الزوجية فى الذرة بنواتها التى تحمل شحنة موجبة وإلكتروناتها التى تحمل شحنة سالبة (Elementary Particles and their Counters).

١٣ ـ الزوجية فى الجسيمات الأولية للمادة وأضدادها.

١٤ ـ الزوجية فى اللبنات المكونة للجسيمات الأولية للمادة وأضدادها.

١٥ ـ الزوجية فى المادة ونقيض المادة (Matter and Antimatter).

١٦ ـ الزوجية فى شحنات الطاقة الموجبة والسالبة.

١٧ ـ الزوجية فى كل من المادة والطاقة وهما وجهان لعملة واحدة ولجوهر واحد يشير إلى وحدانية الخالق العظيم.

ويستطيع المتأمل فى الكون أن يستمر فى هذا السياق إلى ما لا نهاية، ليؤكد على حقيقة الزوجية المطلقة فى كل أمر من أمور هذا الكون: دق أم عظم، وليكون فى ذلك شهادة بأن الوحدانية المطلقة هى لله الخالق وحده، لا يشاركه فيها شريك، ولا ينازعه عليها منازع، فهى من صفات الواحد الأحد، الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد).

وكل صورة من صور الزوجية تلك تحتاج إلى مقال مستقل، ولذلك فسوف أختار هنا بعض النماذج منها فقط فى السطور التالية:

أولاً: الزوجية فى الكائنات الحية:

تتكاثر الكائنات الحيّة من الإنسان والحيوان بالتزاوج بين ذكر وأنثى ويعرف ذلك باسم «التكاثر الجنسى» الذى تأتى فيه نصف الصفات الوراثية للجنين من الأب، وخط الأب إلى أبينا آدم ـ عليه السلام ـ والنصف الآخر من الأم وخط الأم إلى أمنا حواء ـ عليها السلام ـ. فالتركيب الوراثى للخلية الجسدية فى الإنسان على سبيل المثال تحتمل نفس عدد الصبغيات فى كل من الذكر والأنثى ويختلفان فى الصبغيات المحددة للجنس فقط، فخلية الذكر الجسدية تحمل ٤٦ صبغيا منها صبغيان جنسان أحدهما مذكر (Y)، والآخر مؤنث (X) بينما تحمل الخلية الجسدية فى الأنثى نفس

عدد الصبغيات (٤٦) منها صبغيان أنثويان، (XX) أما الخلايا التناسلية فتحمل نصف عدد الصبغيات الموجودة فى الخلية الجسدية، فالحيوان المنوى يحمل ٢٣ صبغيًا، وكذلك البويضة، وفى الحيوان المنوى يكون أحد الصبغيات محددًا للصفات الجنسية ويكون إما مذكرًا (Y) (22+Y) وإما مؤنثًا (X) (22+X)، وعلى ذلك فإن طبيعة الحيوان المنوى (22+Y) أو (22+X) هى التى تحدد - بتقدير مسبق من الله تعالى - جنس الجنين ذكرًا أو أنثى.

وفى معظم حالات الحيوان والنبات تكون الذكور والإناث منفصلة عن بعضها البعض، وفى بعض الحيوانات البسيطة توجد الخلايا الذكرية والأنثوية فى جسد الفرد الواحد الذى يقايض خلاياه الذكرية مع فرد آخر. وفى التكاثر الجنسى قد يتم الإخصاب فى داخل الجسم أو فى خارجه.

أما الكائنات الحيوانية الأكثر بساطة فتتكاثر بالانشطار، أو بالتبرعم، أو التجزؤ، أو بالتجدد أى التراكم، أو بالتوالد العذرى أى بدون إخصاب، ويعرف كل ذلك بـ«**التكاثر غير الجنسى**»، وقد يتبادل الحيوان الواحد كلا النوعين من التكاثر فى دورة حياته التى تعرف باسم «دورة تبادل الأجيال».

ومن معرفتنا بالزوجية فى كل من اللبنات والجسيمات الأولية للمادة. نستطيع أن نجزم بأن صورة من صور الزوجية تتم فى حالات التكاثر غير الجنسى.

وفى النبات تتضح الزوجية بشكل بَيِّن فى الأنواع المنتجة للأزهار والمعروفة باسم النباتات المزهرة - والتى يزيد عددها علىَ الربع مليون نوع، وأزهارها التى تنتج عن تفتح براعمها تحمل أعضاء التكاثر من الخلايا الذكرية والأنثوية التى قد توجد فى زهرة واحدة، أو فى زهرتين مختلفتين على نبات واحد، وقد يكون من النبات الواحد الذكر والأنثى.

وتؤدى عملية الإخصاب فى النباتات المزهرة إلى إنتاج البذور، وتحتوى كل بذرة على جنين النبتة الجديدة، ومخزون من الطعام قَدَّره الخالق المبدع لهذا الجنين حتى ينمو إلى نبتته الكاملة والقادرة على تجهيز غذائها بما وفر الله - تعالى - لها من قدرات، وتحفظ البذور عادة فى الثمرة أو قد تكون هى الثمرة.

أما النباتات غير المزهرة فتتكاثر بالنوعين الجنسى وغير جنسى على مرحلتين فى دورة واحدة تعرف باسم «دورة تبادل الأجيال»، فى المرحلة الأولى منها ينتج النبات كلا من الخلايا الجنسية الذكرية والأنثوية، وتنفصل الخلايا الذكرية وتتحرك فى الأوساط المائية للوصول إلى خلية أنثوية من نبات آخر من نفس النوع والقيام بتلقيحها وإخصابها بالاتحاد معها، وفى الدورة الثانية ينتج النبات خلايا تناسلية اسمها «الأبواغ»، تتناثر عن النبات الحامل لها عند نضجها، وتنمو فى الأوساط المناسبة لها نباتًا جديدًا.

ثانيًا: الزوجية فى الخلايا التناسلية الذكرية والأنثوية:

أعطى الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ لجسم الذكر البالغ القدرة على إنتاج خلايا جنسية ذكرية تعرف باسم «الحيوان المنوى أو الحيمن»، كما أعطى لجسم الأنثى القدرة على إنتاج خلايا جنسية أنثوية تعرف باسم البويضة أو «البييضة» ـ تصغير بيضة ـ، وهذان الزوجان من الخلايا التناسلية إذا اتحدا فإنهما يكونان معًا نطفة مختلطة ـ نطفة أمشاج ـ تبدأ فى الانقسام المطرد حتى تتكون التوبتة التى تنغرس فى جدار الرحم، وتتغذى الأم، وتنمو بالتدريج فى مراحل محددة ومتعاقبة حتى يتم تخليق مولود جديد بإذن الله ـ تعالى.

ثالثًا: الزوجية فى النطفة الذكرية ذاتها:

كما سبق وأن أشرنا فإنه بالإضافة إلى الصبغيات الجسدية فإنه يوجد فى كل حيوان منوى صبغى جنسى واحد إما (X) ويعنى الأنوثة أو (Y) ويعنى الذكورة، وتحتوى البييضة على نفس عدد الصبغيات الجسدية الموجودة فى الخلية الذكرية بالإضافة إلى الصبغى الأنثوى(X)، بينما الحيوانات المنوية إما أن تحمل الصبغى المذكر أو المؤنث، فإذا كان الحيوان المنوى الذى أخصب البييضة مما يحمل صبغى التذكير جاء الجنين ذكرًا بإذن الله، وإذا كان مما يحمل صبغى التأنيث جاء المولود أنثى بإذن الله. فالزوجية موجودة حتى فى نطف الذكر، وليست بين نطفة الذكر ونطفة الأنثى فقط.

رابعًا: الزوجية فى الصبغيات نفسها:

توجد الصبغيات فى نواة الخلية الحيّة على هيئة خيوط متشابكة من مادة تسمى باسم المادة المصبوغة أو كروماتين - (**Chromatin**) تعطى للنواة مظهرًا شبكيًا أو حبيبيًا، وتتكون هذه الصبغيات إلى حد كبير من الحمض النووى المعروف باسم الحمض النووى الريبى المنقوص الأكسچين أو الحامض الرايبوزى غير الأكسچينى - (**Deoxyribonucleic Acid or DNA**) الذى تكتب به الشفرة الوراثية للخلية، بالإضافة إلى كم من البروتينات بنسب متساوية تقريبًا.

وكل واحد من هذه الصبغيات - التى يعتبر عددها من العوامل المحددة للنوع - يتكون من شريطين متصلين ببعضهما بجزء دقيق يعرف باسم شريط اللحمة المركزى أو القطعة المركزية (**Centromere**) له مكان محدد على كل صبغى، يكون أحيانا قريبا من وسط الصبغيين، وغالبًا ما يقع قرب أحد طرفيهما، وهذه صورة من صور الزوجية المبهرة فى الخلق.

خامسًا: الزوجية فى وحدات الوراثة (المورثات أو الناسلات أو الچينات):

تتوزع وحدات الوراثة على طول كل واحد من الصبغيات على هيئة قطع منفصلة من الحمض النووى الريبى المنقوص الأكسچين (**DNA**) فى زوجية واضحة؛ لأن أحد هذه المورثات يأتى إلى الجنين من جهة الأب والآخر يأتيه من جهة الأم.

سادسًا: الزوجية فى بناء جزىء الحمض النووى، وفى بناء كل من سلمياته وجداريه:

بالدراسة اتضح أن كل جزىء من جزيئات الحمض النووى الريبى المنقوص الأكسچين (**DNA**) ينبنى على هيئة سلم حبلى مفتول، أو ما يعرف باسم «اللولب المزدوج» (**Double Helix**) تتضح فيه الزوجية فى جانبيه المصنوعين من جزيئات سكر الريبوز المنقوص الأكسچين، وجزيئات من الفوسفات، كما تتضح الزوجية فى درجات هذا السلم الحبلى المفتول والتى تتكون كل درجة من درجاته من زوج من قواعد نيتروچينية أربع هى:

الأدينين (Adenine = A)، والثيامين (Thyamine = T)، والجوانين (Guanine = G)، والسيتوسين (Cytosine = E) على أن يرتبط الأولان فى زوجية واضحة معًا (AT)، وأن يرتبط الأخيران كذلك معًا (GC)، ومعًا فقط فى زوجية واضحة كذلك، ليشكل كل زوج منهما درجة من سلميات جزىء الحمض النووى الريبى المنقوص الأكسچين (DNA) على شكل نويدتين (Two Nucleotides) تتكون كل منهما من قاعدة نيتروچينية (Nitrogenous Base) مستندة إلى زوج من السكر والفوسفات تأكيدًا على الزوجية فى الخلق من أدق الدقائق إلى أكبر الوحدات.

سابعًا: الزوجية فى بناء كل من الأحماض الأمينية والبروتينات:

تعد الأحماض الأمينية (Amino Acids) الوحدة البنائية الأساسية لمختلف جزيئات المواد البروتينية (Protein Molecules) التى تبنى منها أجساد الكائنات الحيّة. والأحماض الأمينية من الأحماض الدهنية، التى تذوب فى الماء بسهولة فى أغلب الأحيان، ولها فى حالتها المتبلورة نشاط ضوئى ملحوظ بسبب احتواء جزيئاتها على ذرة كربون محاطة بأربع مجموعات مختلفة هى: مجموعة الأمين (NH_2)، ومجموعة الكربوكسيل (COOH)، ومجموعة الحمض (R)، وذرة أيدروچين (H) ولذلك فالجزىء غير متماثل، وتتحرك هذه المجموعات لتتبادل الأوضاع حول ذرة الكربون، فقد توجد مجموعة الأمين (NH_2) فى مواضع مختلفة بالنسبة لمجموعة الكربوكسيل.

ونظرًا لعدم تماثل جزىء الحمض الأمينى فإن كل واحد من الأحماض الأمينية يمكن أن يوجد فى شكلين أحدهما يدير مستوى الضوء المستقطب إلى اليمين ويعرف باسم «الشكل اليمينى» (Right-handed isomer)، والشكل الآخر يديره إلى اليسار ويعرف باسم «الشكل اليسارى» (Left-handed isomer).

وقد ثبت أن الأحماض الأمينية فى أجساد جميع الكائنات الحيّة - النباتية والحيوانية والإنسية - هى من الأشكال المرتبة ترتيبًا يساريًا، فإذا ما مات الكائن الحى فإن الأحماض الأمينية اليسارية الترتيب فى بقايا جسده تبدأ بإعادة ترتيب الذرات فى داخل جزيئاتها من الترتيب اليسارى إلى الترتيب اليمينى بمعدلات ثابتة حتى يتساوى الشكلان، ويعرف هذا الخليط باسم «الخليط الراسيمى - Racemic

Mixture» وهو خليط لايمكنه تحريك مستوى الضوء المستقطب، ولكنه يمثل: صورة من صور الزوجية فى أضيق صورها.

ويمكن استخدام نسبة الشكلين اليمينى واليسارى للحمض الأمينى الواحد فى بقايا أى من النبات أو الحيوان أو الإنسان فى تحديد لحظة وفاته بدقة بالغة نظرًا لثبات معدلات التحول من الشكل اليسارى إلى الشكل اليمينى.

ويعرف العلماء من الأحماض الأمينية البانيّة للبروتينات عشرين نوعًا كل منها ممثل بزوجية واضحة، وباتحاد هذه الأحماض الأمينية العشرين يمكن بناء أكثر من مليونى نوع من أنواع البروتينات. والخلية الحيّة فى جسم الإنسان قد أعطاها الله - تعالى - القدرة على إنتاج مائتى ألف نوع من أنواع هذه البروتينات، وبالمثل فإن كل جزىء من جزيئات البروتينات العديدة يمكن أن يكون له شكل يمينى وآخر يسارى، وهى فى أجساد جميع الكائنات الحيّة من الشكل اليسارى.

وكذلك النويدات **(Nucleotides)** على الصبغيات وهى أصغر وحدات الحمض النووى الريبى والريبى المراسل **(DNA, mRNA)** فإن منها اليمينى واليسارى، وكلها فى أجساد الكائنات الحيّة من الشكل اليمينى. وفوق ذلك فإن هناك «الشفيرات - **Codons**» التى تتكون الواحدة منها من ثلاث نويدات، وهناك «السيسترونات **Cistrons**» التى تتكون من عدة مئات إلى عدة ألوف من النويدات وهى الوحدة الوراثية الوظيفية فى حاملات الوراثة (أو الچينات)، وكل واحد من هذه الوحدات الوراثية له نظيره، و كل واحد من البروتينات المعروفة له ضده **(Proteins And Antiproteins)**، وكل جسم من الأجسام المكونة من البروتينات له ضده **(Bodies And Antibodies)**؛ بالإضافة إلى أن من البروتينات بروتينات بانية وأخرى هادمة **(Constructive Proteins and Destructive ones)**.

ثامنًا: الزوجية فى المادة وفى مركباتها:

تتضح الزوجية فى مركبات المادة فى شقيها الموجب **(Cation)**، والسالب **(Anion)**. كما تتضح فى تركيب الذرة بنواتها التى تحمل شحنة موجبة، وإلكتروناتها التى تدور حول النواة حاملة شحنة سالبة مكافئة.

وقد ثبت أن للمادة قرابة الثلاثين نوعًا من أنواع اللبنات الأولية، وكل واحدة منها لها نقيضها، كما أن الجسيمات الأولية للمادة لها لكل جسيم نقيضه، وأن المادة ككل لها نقيض المادة، وإذا التقت النقائض فإن كل واحد منها يفنى نظيره؛ لأنهما يتخليان عن طبيعتهما المادية، ويتحولان إلى طاقة تعلن عن فناء المادة، ومن هنا كان الوجود والعدم، وكانت إمكانية الإيجاد من العدم أى الخلق على غير مثال سابق، وإمكانية الإفناء إلى العدم، ولا يقدر على ذلك أحد غير الإله الخالق سبحانه وتعالى.

تاسعا: الزوجية فى الطاقة:

وكما تتضح الزوجية فى المادة فإنها تتضح كذلك فى الطاقة، فإن لكل صورة من صورها ما هو ضدها، فالكهرباء فيها الموجب والسالب، والمغناطيسية فيها العادى والمقلوب (المعكوس)، حتى الضوء له زوجية واضحة؛ لأنه يتحرك أحيانًا على هيئة أمواج، وأحيانًا أخرى على هيئة جسيمات.

كذلك فقد ثبت أن المادة والطاقة وجهان لعملة واحدة، وصورتان لجوهر واحد، يشير إلى وحدانية الخالق - سبحانه وتعالى -، وخلق اللبنات الأولية للمادة على هيئة أزواج من الطاقة، وتحويلها إلى طاقة على هيئة زوجية أيضًا، وإمكانية رد الطاقة إلى حالة مادية كما خلقت أول مرة، كل ذلك تأكيد على حقيقة بدء الخلق من العدم وعلى إمكانية إفنائه إلى العدم.

ونحن نرى الزوجية فى كل صورة من صور الخلق: من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته، حتى يبقى الخالق - سبحانه وتعالى - متفردًا بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ونرى كذلك وحدة البناء فى الخلق تجسيدًا لوحدانية الخالق سبحانه وتعالى.

فلكل جسيم فى الذرة جسيم نقيض . . وهذه الجسيمات ونقائضها تكون المادة والمادة النقيضة، وفى النقائض توجد كل الصفات معكوسة من الشحنات الكهربية إلى المجالات المغناطيسية إلى اتجاهات الدوران، وعلى ذلك فلا يمكن لمثل تلك النقائض أن تجتمع فى مكان واحد وإلا أفنى بعضها بعضًا.

فسبحان الذى خلق الخلق فى زوجية واضحة تشهد له بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، وسبحانه إذ خلق المادة ونقائضها من الطاقة، وسبحانه إذ خلق تلك النقائض فى نفس الوقت وبنفس القدر حتى يثبت لنا الخلق من العدم، وإمكانية الإفناء إلى العدم !!.

وسبحانه إذ فصل بين المادة ونقائضها حتى يوجد هذا الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة، المنضبط فى كل أمر من أموره، والمبنى على وتيرة واحدة تشهد للخالق - سبحانه وتعالى - بالوحدانية. وسبحانه إذ أبقى المادة النقيضة فى مكان ما عنده حتى إذا شاءت إرادته إفناء الكون جمع المادة ونقائضها بأمره: «كن فيكون»، وإذا شاء بعث كل شىء بفصلهما كذلك بالأمر «كن فيكون».

وسبحانه إذ قرر هذه الحقيقة الكونية فى محكم كتابه (القرآن الكريم) الذى أنزله بعلمه من قبل ألف وأربعمائة سنة، على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ ذلك النبى الأمى الذى بعث فى أمة أمية، فتلقى القرآن الكريم من ربه وبَلَّغَه أحسن تبليغ، وتعهد هذا الإله العظيم بحفظ رسالته الخاتمة فى نفس لغة وحيها (اللغة العربية) لتكون هداية للخلق أجمعين منذ لحظة الوحى بها وإلى يوم الدين؛ لأنه ليس من بعد خاتم الأنبياء والمرسلين من نبى ولا من رسول. وفى إرساء هذه الحقيقة قال عز من قائل ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. وهى حقيقة لم يدركها علم الإنسان الكسبى إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين، ووروودها فى كتاب الله المنزل على خاتم أنبيائه ورسله من قبل ألف وأربعمائة من السنين لمما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، ويجزم بالنبوة وبالرسالة لسيدنا محمد بن عبدالله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

***